مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2709-0302 (online)
ISSN: 2617-5908 (print)

تشظيات الأحلام وتمثيلاتها السيكولوجية في رواية الأشجار واغتيال مرزوق لعبد الرحمن منيف(*)

روضه بلال عمر المولَّد
الأستاذ المشارك -تخصص لغة عربية - أدب
قسم العلوم الأساسية
الكلية الجامعية بتيماء- جامعة تبوك
ralmoalid@ut.edu.sa

*) تاريخ تسليم البحث 8/12/2025 تاريخ قبوله للنشر 26/1/2026
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

تشظيات الأحلام وتمثيلاتها السيكولوجية في رواية الأشجار واغتيال مرزوق لعبد الرحمن منيف

روضه بلال عمر المولَّد
الأستاذ المشارك -تخصص لغة عربية -أدب
قسم العلوم الأساسية - الكلية الجامعية بتيماء - جامعة تبوك

الملخص

وقفت هذه الدراسة على تشظيات الأحلام، وتمثيلاتها السيكولوجية في رواية الأشجار واغتيال مرزوق لعبد الرحمن منيف، حيث سعت هذه الدراسة إلى تجلية الأحلام، سواء في حالة المنام أو اليقظة، وتحليل تمثيلاتها السيكولوجية المتشظية، التي عكست الصراعات الداخلية للذات، ورغباتها العميقة في إشباع احتياجاتها النفسية، والكشف عما تعجز عن تحقيقه في الواقع، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج التحليل النفسي البنيوي كأداة نقدية فعالة؛ لتفكيك السياقات اللغوية، والتفاعلات الواعية وغير الواعية التي تتداخل فيها.

وقد ارتبط ظهور الأحلام المنامية باللاوعي في هذه الرواية، حيث تجسَّدت تشظيات سيكولوجية متعددة أتاحت المجال؛ لاستكشاف الهويات النفسية المعذبة التي تعيشها الذات، والتوترات النفسية الحادة؛ إذ تسابقت السياقات؛ لتكشف عن صراعات داخلية تعكس مشاعر مضطربة تدفع بالذات إلى العيش في عالم الأحلام، كآلية دفاعية لا واعية، فلجأت الذات إلى آليات مثل: التفريغ، والإزاحة، والإسقاط، والاستدماج، كوسائل للهروب من واقعها المؤلم، والتطلع إلى مرحلة من الإشباع النفسي المفقود.

علاوةً على ذلك، اتخذت الذات أحلام اليقظة ملاذًا لحماية نفسها من الأفكار والمشاعر المؤلمة بطريقة واعية، فتمظهرت عدة سيكولوجيات تمثلت في القمع والهدم للعواطف، والجدية، والسخرية، والخيبة والأمل والبغض، حيثُ قامت بتفريغ تلك الطاقات في الحلم؛ لتمنح ذاتها طاقة نفسية متجددة، تعزِّز من شعورها بالقيمة والأمل، وتساعدها على الابتعاد عن العالم المشحون بالغموض والتحديات، من خلال اعتمادها على آليات مثل: الإرصان الثانوي الذي يقوم بتعديل الحلم بُغية تقديمه على شكل سيناريو مفهوم ومتماسك، والإرصان النفسي الذي يتم فيه تعديل الحلم ومساره الفردي إلى الجمعي.

الكلمات المفتاحية: الأحلام، المنامية، اليقظة، سيكولوجية، تشظيات.

The Dream fragments and their psychological representations in the novel (Trees and the Assassination of Marzouq) By Abdel Rahman Munif

Dr. Rawdhah Belal Omar ALmwallad
Associate Professor, Department of Basic Sciences, University College of Tayma, University of Tabuk, Kingdom of Saudi Arabia

Abstract

This study examined dream fragments and their psychological representations in the novel Trees and the Assassination of Marzouq by Abdel Rahman Munif. The research sought to explore dream phenomena, whether in a dream or wakefulness, and analyze their fragmented psychological representations that reflected the inner conflict of the self and its deep desire to satisfy its psychological and emotional needs, and reveal what it is unable to achieve in lived reality. The research relied on the structural psychoanalytic approach as an effective critical tool to deconstruct linguistic contexts and the conscious and unconscious interactions that overlap in them. The emergence of dreams was linked to the unconscious in this novel, as multiple psychological fragments were embodied in feelings of panic, pain, loss, rebellion, violence, and submission, which allowed for exploring the tormented psychological identities that the self lives. Some of the dreams in the novel also, reflected the disorder of the self and its fluctuation between severe psychological tensions, as the contexts competed; To reveal internal conflicts that reflect disturbed feelings that push the self to live in a dream world as an unconscious defense mechanism, the self resorted to mechanisms such as: discharge, displacement, projection, and integration, as means of escaping from its painful reality, and looking forward to a stage of lost psychological satisfaction. Moreover, the self took daydreams as a refuge to protect itself from painful thoughts and feelings in a conscious way, so several psychologies appeared represented in the suppression and destruction of emotions, seriousness, sarcasm, disappointment, hope, and hatred, as it discharged those energies in the dream; to give itself renewed psychological energy, enhance its sense of value and hope, and help it move away from a world charged with ambiguity and challenges by relying on mechanisms such as secondary consolidation that modifies the dream in order to present it in the form of a comprehensible and coherent scenario, and psychological consolidation in which the dream is modified and its individual path is modified to the collective.

Keywords: Dreams, dreaming, wakefulness, psychology, fragmentation.

المقدمة:

الحياة الإنسانية تؤطِّرها تمثيلات ومؤثرات خارجية، تسهم في خلق أجواء من التأقلم والتكيف، وبناء علاقات تناغمية بين الذات وعالمها الخارجي، إلا أن هذه الحياة لا بد أن تعتريها بعض المزالق والصراعات، التي قد تفقد الذات الإنسانية طبيعتها الصامدة وانتماءها الوجداني، فينتج عن ذلك ذات فاقدة للحياة الهادئة، ذات تحمل شخصية متوترة، متموضعة في سلسلة من الإخفاقات التي تزجّ بها في دوامة قد تخالف طبيعتها السيكولوجية، وتترك آثارًا ملازمةً لها تنتقل معها في تجربتها الذاتية والأدبية لدى طائفة من الأدباء.

لذلك فطن النُّقاد إلى العلاقة القائمة بين التحليل النفسي والأدب، ومدى قدرة هذا المنهج على "تفكيك حقيقة ما ، ملغزة داخل التجربة الإنسانية، كما يعيش الإنسان هذه التجربة، أي: كما يحكيها لنفسه أو للآخرين" (نويل،٢٠١٨م،١٩)، وبما أن الأدب بجميع مجالاته يُعَد عمليةً فكريةً تستجيب لتصورات ذهنية "فلغتُه تقول أكثر مما يبدو أنها تقوله، وهي لا تقول بالضبط؛ لأن الكلمات المتداولة عندما يحدثُ تركيبُها بطريقة معينة، فإنها تكتسبُ سلطة الإيحاء بالمجهول وبما لا نتوقعه.، فيكوّن هناك معنًى فائضًا داخل النص، ونقصانًا في الوعي، فالحدث الأدبي لا يحيا إلا إذا كان يبطن قليلًا من فقدان الوعي أو جزءًا من اللاوعي نفسه، ومهمة الناقد هي الكشف عن هذا النقصان أو هذا الفيض" (نويل،٢٠١٨م،٢٥).

لذا بنى بعض المحللين النفسيين –ومن بينهم جاك لاكان– نظريتهم وتحليلهم النفسي على دعائم لغوية، فقد ركزوا على اللغة وجعلوها أساس التواصل بين المحلل النفسي والمريض؛ إذ يرون أنها طريقة ناجعة في العلاج؛ لذا عدَّه المفكرون والنقاد رائد التحليل النفسي البنيوي، فكرَّس لاكان جهوده من أجل التأكيد على أهمية الاعتماد على اللغة البنائية، وأن ذلك سوف يسهم بشكل جلي في تقديم وصف اللاشعور بطريقة علمية (ملال،د.ت،٤٤)، فاللاوعي تقع تحته أنساق وموضوعات متعددة، منها: تفسير الأحلام الذي اعتبره جاك لاكان اكتشافًا فريدًا لفرويد، حيث قال: "ومما لا ريب فيه فإن تفسيره للأحلام هو أيضًا من باب الابتكار، ومهما قيل بأنه قد تم الاهتمام بمعنى الحلم قبله" (لاكان،٢٠١٣م، ١٥)، ليصبح الحلم عنصرًا لا شعوريًّا يثري السرد الروائي، محولًا اللغة من وصف تقريري إلى أسلوب شاعري مشبَع بالاستبطان، ويتميز هذا الأسلوب بالمجاز والتكثيف الدلالي والنفسي، حيث يعكس أعماق اللاشعور من خلال الغوص في البواطن النفسية للذات، وكذلك الشعور.

وبما أن التحليل النفسي البنيوي قد يسهم بطريقة جَلِية في الكشف عن الأنماط السيكولوجية للأحلام في النتاج الأدبي، فقد ارتأت الدراسة السير عليه كمنهجية واضحة؛ للكشف عن الأزمات والسيكولوجيات النفسية التي تجلَّت في أحلام الشخصيات الروائية، من خلال البنى اللغوية أو ما يُطلَق عليها بالبنيوية التي تضع جُل اهتمامها على الذات وشخصيتها وأحاسيسها، مع التركيز على العلاقات الداخلية للغة بعضها مع بعض (إيغلتون،١٩٩٥م، ١٧٠).

لهذا جاءت هذه الدراسة والتي تهدف إلى استجلاء التمثيلات السيكولوجية اللاواعية والواعية. المتعالقة مع الشخصيات المتأزمة الباحثة عن الملاذ جرَّاء ما تعرضت له من صدمات وصراعات اجتماعية وسياسية ونفسية،

جعلتها متشظيةً نفسيًّا، فتمظهرت بطريقة خفية مبطنة تحت غطاء الكلمات والسياقات اللغوية الواصفة للأحلام، والتي تومئ إلى وجود ضغوطات نفسية متوارية؛ لذا ستقوم الدراسة بتتبع السياقات اللغوية بدلالتها ومدلولاتها، كشفًا عن سيكولوجيات الأحلام المتشظية، من خلال إيجاد إجابات شافية عن التساؤلات الآتية:

١. كيف تمثلت سيكولوجيات الأحلام في الرواية؟

٢. ما التشظيات الرمزية السيكولوجية للأحلام في الرواية؟

٣. ما هي الميكانزيمات الدفاعية التي ارتكزت عليها الذات المتشظية سيكولوجيًّا في الأحلام؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في أن هذه الرواية لم تَنَل حظها في الدراسة والتحليل حسب المنهج التحليلي النفسي البنيوي القائم على دراسة سيكولوجية الأحلام –على حد علم الباحثة–

الدراسات السابقة:

تناولت الباحثة عدد من دراسات سابقة، منها:

بحث بعنوان (شخصية المثقف في رواية الأشجار واغتيال مرزوق لعبد الرحمن منيف) لغالية وفاء وسليني نور الدين، ونُشِرت الدراسة في حوليات الأدب واللغات بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، عام ٢٠١٧م، في العدد ٩، مجلد ٢، والبحث وقف على مفهوم المثقف ونشأة المصطلح، وركز على شخصية واحدة في الرواية (منصور عبد السلام)، فتحدث البحث عن البُعد الفيزيولوجي الذي تمثَّل في التردد، والبُعد الاجتماعي الذي تجلَّى في الشعور بالوحدة، والبُعد النفسي والفكري.

مقال بعنوان (مظاهر التعدد في شخصية مرزوق من خلال رواية الأشجار واغتيال مرزوق لعبد الرحمن منيف) لمختار الماجري، نُشر المقال في مجلة وزارة الثقافة بالأردن، العدد ٣٩٩، في عام ٢٠٢٢م، وسلَّط المقال الضوء على تعدد جوانب شخصية مرزوق في الرواية، والذي تجلَّى في شخصية إلياس الذي يرمز إلى الشموخ والقيَم ورمز للتحول، والشخصية الأخرى لمرزوق هو منصور الذي مثَّل الجانب الفكري، واختتم المقال بالإشارة إلى أن مرزوق هو إنسان الفعل القادر على الثبات في الزمن، وهو شخصية محورية ورمزية في الرواية.

بحث بعنوان (البُعد البيئي في رواية الأشجار واغتيال مرزوق لعبد الرحمن منيف) لخالد مجاد، المنشور في منشورات القلم المغربي عام ٢٠٢٢ في العدد ٧، سعى البحث إلى استكشاف الوعي البيئي لدى الروائي السعودي عبد الرحمن منيف من خلال منظور النقد البيئي، حيثُ طرح البحث فكرة الوفاق بين الإنسان والطبيعة، وأن الانفصال بينهما يؤدي إلى الشقاء، كما أشارت الدراسة إلى أن انتهاك الطبيعة الذي تمثَّل في قطع الأشجار في بلدة الطيبة، هو سبب دمار الفضاء الروائي وتعاسة الشخصيات، كذلك كان المؤلف على وعيٍ تام بهشاشة الحدود بين الإنسان والحيوان، واختتم البحث بالإشارة إلى الدور المركزي للطبيعة كعامل سردي يتراوح بين التحفيز والكبح للعملية السردية.

مقال بعنوان (قراءة في رواية الأشجار واغتيال مرزوق) إعداد طلعت رضوان، والمقال منشور بواسطة الهيئة المصرية العامة للكتاب في العدد ٩٧ بمصر، عام ٢٠١٦، تناول المقال رمزية التصحر التي تمثلت في الاعتداء على

الزراعة من خلال القطع والمغامرة في لعب القمار، أما المستوى الثاني الرمزي فتمثَّل في الوطن والإنسان، وركز المقال على إغفال المؤلف لذكر الاسم الواقعي لبطل روايته، وانتهت القراءة إلى أن منيف ركَّز على قيمة العمل.

وهذه الدراسة تختلف عن الدراسات السابقة؛ لأنها تعتمد على التحليل النفسي البنيوي الذي سيقف على تشظيات الأحلام السيكولوجية التي تمظهرت نتيجة تأزم الشخصيات ذاتيًّا، وستسعى الدراسة إلى الكشف عن الحيَل الدفاعية للذات؛ لتفصح عن تشظيها سلوكيًّا عن طريق اللاشعور أو الشعور.

نبذة مختصرة عن الرواية:

الرواية للكاتب عبد الرحمن بن إبراهيم منيف، الأديب والناقد السعودي، الذي وُلِد سنة (١٩٣٣) بالأردن، وتُوفِّي سنة (٢٠٠٤) بسوريا، ويُعَدّ هذا الأديب من أبرز أعلام الأدب العربي في القرن العشرين، حيثُ رصد تحوُّلات الجزيرة العربية المعاصرة، وحفر اسمه بسطور من الإبداع في عالم السرد العربي الحديث. لم يكن مجرد كاتب، بل كان راويًا للفكر والمجتمع، ومؤرخًا لزمانه بأدواته الأدبية الفائقة، والتي تبلورت وتشكلت في بناء السرد العربي المعاصر، منها هذه الرواية (الأشجار واغتيال مرزوق).

تدور أحداث هذه الرواية حول ثلاث شخصيات؛ الشخصية الأولى منصور، وهو شاب طموح درس التاريخ، ثم عمل أستاذًا جامعيًّا، وسُجن بسبب اشتراكه في مظاهرة طلابية، مما أدى إلى فقدانه لوظيفته، فعانى من الفقر والحرمان، فاضطُر إلى مغادرة وطنه في رحلة بحث عن العمل، فيلتقي بالشخصية الثانية إلياس نخلة، الغارق في المأساة؛ لفقده سُبل الحياة الهانئة التي كان يعيشها نتيجة مقامرته بأشجاره، ونتج عن ذلك فقدانه لأرضه وحياته، فعاش ضائعًا متموضعًا في دائرة الألم والضغط النفسي، ولكنه لا يزال مستمرًّا في البحث عن الحياة، رغم ضياعه الدائم، وشعوره بالهزيمة والخذلان الذي لا ينفك عنه.

وتنشأ علاقة مؤقتة بين منصور وإلياس في القطار، فتتكشف العلائق التواصلية بينهما، حيثُ يسرد إلياس لمنصور قصة حياته التي تحمل بين طياتها حزنًا عميقًا وتجارِب مؤلمة، بينما يبدأ منصور في كتابة رواية تحكي عن تجارِب خاصة وتجربة إلياس الذي قابله، كنوعٍ من التفريغ النفسي والتعبير عن مشاعر الخيبة.

أما الشخصية الثالثة، فهي شخصية مرزوق الذي أشار إليها منصور في مذكرة يومياته بأنه قد مات، وعلى ما يبدو أنه صديق مقرَّب له، ويجد منصور نفسه غارقًا في مشاعر الحزن والغضب.

فيتجلى هذيانُ الشخصيات من خلال السياقات اللغوية الرامزة إلى الانهيار النفسي الكامن في الذات؛ لتتمثل سيكولوجيات متشظية متنوعة، ومتنقلة في عالم الأحلام المنامية، وأحلام اليقظة على حد سواء.

الأحلام على عتبات التحليل النفسي:

لقد وقف علماء التحليل النفسي على ماهية الأحلام التي تُعَد "سلسلة من الهلاوس والتخييلات التي تحدث لنا أثناء النوم، وتختلف الأحلام في مدى تماسكها ومنطقيتها. وعمومًا فإن الحلم من أهم الحيل الأساسية التي تلجأ إليها النفس البشرية لإشباع رغباتها ودوافعها، خاصة تلك التي يكون إشباعها صعبًا أو مستحيلًا في عالم الواقع، ويصدق هذا أيضًا على أحلام اليقظة" (طه، وآخرون، د.ت، ١٨٠-١٨١)؛ لذا تمثل الأحلام جزءًا أساسيًّا من

نظرية التحليل النفسي التي يعتمد عليها سيغموند فرويد، ووفقًا لنظريته، فإن الأحلام تنطوي على عملية تحويل، أو عملية للرغبات المكبوتة. يحدث ذلك عندما يتم تكييف الرغبات التي يصعب التعبير عنها في الواقع إلى صور وأحداث يمكن أن تتوقف في الحلم. بمعنى أن الأحلام عند فرويد تُمثل جملة من المحاولات التي تسعى إليها الذات في " تحقيق أمنية من حياة اليقظة. أحيانًا تظهر الأمنية في الحلم، كما توجد في حياة اليقظة بالضبط، لكن إذا كانت الأمنية شيئًا قمعناه في الهو غير الواعي ذلك الجزء من العقل الذي اعتقد فرويد أنه مسؤول عن الدوافع والرغبات الأساسية؛ لأنها غير مقبولة اجتماعيًا، أو مثيرة للحرج، أو لا نتحمل التفكير فيها بطريقة أخرى، فسيقوم الحلم بممارسة الرقابة على الأمنية باستخدام أنواع مختلفة من التشويهات الرمزية" (مالينوفسكي، ٢٠٢٤، ٣٥-٣٦).

لذا "يتجلى اهتمام فرويد بالعمل الروائي في ذاته عندما نراه حريصًا على وضع الأحلام الواردة في تضاعيفه ضمن السياق العام المجموع –النص–لذلك كان يستفيد في فك رموز الرواية من مقاطع متنوعة، ويعارض الرأي الذي يرى أن الأحلام الواردة في الروايات ليست إلا زخارف تزيينية، بل يرى أنها تأخذ معناها بالضرورة داخل مجموع العمل" (الحمداني،٢٠١٨م، ٢١)، استنادًا على ما أطلق عليه بالمحتوى الظاهر، والمحتوى الكامن الذي يتجلى ارتكازًا على عملية التكثيف التي تحمل بين طياتها الكثير من التمفصلات الحلمية، وعملية الإزاحة التي يتم فيها إحالة المشاعر المقموعة إلى صور حلمية غير ذات صلة ظاهريًا (مالينوفسكي،٢٠٢٤، ٣٦).

أما الحلم عند لاكان؛ فهو بمثابة اللغة التي تفسِّر اللاوعي للذات؛ لهذا يركز لاكان على الكلام باعتباره "مادة العمل في التحليل النفسي وهو ما يتيح صياغة مفاهيم العمليات التي اكتشفها فرويد في الحلم، وزلات اللسان والنكات" (لاكان،١٩٩٩م، ٢٢)، لأنها تعتمد على لغة اللاوعي. ويصوِّر جاك لاكان هذه اللغة بوصفها "لغة الحرف أو لغة الدال، فيحدِّد الدال كعامل أولًا بغضِّ النظر عن معناه، كما أن مختلف تكاوين اللاوعي كالحلم والهفوة، والأغراض العصبية هي ظواهر لدالات فُصِلت عن مدلولاتها" (زيادة،١٩٨٣م، ٦).

ولم يركِّز جاك لاكان على صورة الحلم؛ لأنه يرى أنها "لا تسترعي الانتباه إلا بالنسبة لقيمة الدال فيها، وليس للمعنى أية أهمية في قيمة الدال هذه، لدرجة أن الحلم يمكن أن يُهجى كلغز رمزي ... ويؤكد جاك لاكان مرارًا في الكتابات للخطاب البشري، ويصفه في أشكال الفكر الأكثر غرابة (إن للحلم بنية الجملة، بنية اللغز، أي بنية الكتابة)" (زيادة،١٩٨٣م، ٦)؛ لهذا وقف لاكان على أهمية الخطاب الصادر من المريض، وباعتبار أن المتكلم ليس هو الذات بل البنيات اللغوية، ونسق اللغة ذاته (خريسان،٢٠٠٦م،٨٨)، وهكذا يَعُد لاكان علاقة –الدال والمدلول– في عالم الأحلام علاقة لغوية ثنائية تقوم على الرمزية، التي تؤسِّس الشخص العقلاني صاحب العلم، وقائل الكلام، والشخص الداخلي (الذات)، وهو المدلول الصافي الذي يفترض وجوده في الأنا" (زيادة،١٩٨٣م،١٠)، والمسؤول عن الحيل الدفاعية، وهي عبارة عن "الأساليب التي يلجأ إليها الأنا في تعامله مع رغبات الهو، ورغبات الأنا الأعلى، ومتطلبات الواقع حتى يحقق للشخصية توافقها" (طه، وآخرون،د.ت،١٨٣)، عن طريق دفعها إلى عالم الشعور الذي تشعر به الذات فتتصوره وتستدعيه، وعالم اللاشعور الذي يحتوي على دوافع وسلوكيات لا تشعر الذات بوجودها (طه، وآخرون، د.ت، ١٩٢-١٩٣)، فتتمظهر في أحلامها.

كما أشار يونج إلى نوعين من اللاوعي أو اللاشعور: الأول ما كان متعلقًا بالشخص، وهو ذلك الجزء من العقل غير المدرك بشكل واعٍ، حيثُ تتمثل فيه الذكريات المكبوتة، والرغبات المقموعة التي لا تتناسب مع الأنا، فتظهر شخصية معارضة بشكل تعويضي، والنوع الآخر وهو: اللاوعي الجمعي الذي تتشاركه جميع الذاوات، ومن خلال هذا النوع توصل إلى ما يسمى بالتوسيع الذي يقوم بتحليل الأحلام من خلال ثلاثة مستويات شخصية وثقافية ونموذجية (مالينوفسكي،٢٠٢٤، ٤١-٤٠).

الأحلام المنامية وأحلام اليقظة (الوعي واللاوعي):

أشارت الأحلام في الرواية إلى ولوج الشخصيات الحالمة في دائرة اللاوعي والوعي، والذي يُعَد إفصاحًا عن الرغبات التي لم يتم إشباعها في محيط الواقع، والتي تعرَّضت إلى عملية الكبت، وتنشط تلك الرغبات داخل نظام اللغة كحوار داخلي بين الذات ونفسها تشظيًّا.(إيفانس،٢٠١٦م،١٤٢-١٤٣)، فتتجلى تلك المثيرات في عالم الأحلام المنامية وأحلام اليقظة عن طريق الحكي السردي في الرواية، والذي يفصح عن الرغبة الكامنة "فرغبة الحلم تتكلم، حين تجد طريقها إلى التعبير، من أجل ألا تقول شيئًا، وفعلُ الكلام (التلفظ) هو الذي يقوم مقامها، بعد فوات الأوان، حُجة على وجودها، وعندما يحدث لها أن تتكلم ... فإنها بذلك تكون قد اختارت مصيرها، وأحرزت شكلًا واحدًا من الإشباع" (نويل،٢٠١٨م، ٤٨).

وفعل الحكي ذاته يتموضع في أحلام اليقظة التي تمارس "حيل اللغة: (الاستيهام بحصر المعنى)، كما في الاستيهامات اللاواعية التي تصلح أن تكون رحمًا لكل التخييلات التي تسمح للذات، وهي تَعرِضُ هذه الأخيرة أمام نفسها، بإشباع رغبتها على المستوى المتخيّل" (نويل،٢٠١٨م، ٥١)، شعوريًّا كحيل دفاعية عن طريق الأحلام.

تشظيات الأحلام المنامية ورمزيتها السيكولوجية:

تنبثق في الرواية بعض الأحلام المنامية التي تصور بعض المخاوف والكوابيس؛ لتمثل سيكولوجية الهلع من ضغوطات الحياة، التي يتم تفريغها في الحلم "والتفريغ مفهوم يتعلق بالحالة الانفعالية، وهو يعني تخفيض معدل التوتر في الموقف ... عن طريق تفريغ الشحنات الانفعالية في الأحلام ... ويهدف التفريغ إلى الإحساس باستعادة الاتزان النفسي ... وتقليل الألم" (طه، وآخرون، د.ت، ١٣٢)، فتمظهرت صور تُومِئ إلى العذاب النفسي، عاكسةً ذاك الشعور، حيثُ يغدو النوم كابوسًا مفزعًا تتخلله أحلام مرهقة. "النوم بالنسبة لي كابوس، عذاب، أقسى من عذاب النهار. كنتُ أتصوَّر نفسي على طرف جُرف حاد، وأمامي مجموعة من الوحوش الكاسرة تتقدم ببُطء. كنتُ أرى أنيابها الصفراء المسننة، وأرى الشرر يتطاير من عيونها، وأتراجع، وفجأةً أهوي، وعندما أستيقظ يكون حلقي جافًّا ولساني قطعةً من الحطب" (منيف،٢٠٢٢م، ٢٨).

فالحلم يظهر صراعًا نفسيًّا حادًّا عميقًا، النوم بالنسبة للذات ليس مجرد فترة للراحة، بل هو لحظة من التوتر العميق. وعادةً ما تتكون هذه الأحاسيس نتيجةً للقلق والشعور بالعجز والخوف المستمر، ويعكس حالة من الاضطراب الداخلي الذي تعيشه الذات، وهو ما يجعل النوم بالنسبة لها كابوسًا، وأكثر ألما من اليقظة،" إن

الكوابيس تصـــور مخاوفنا بطرائق كثيرة مختلفة: أن نكون مطاردين...تترجم مثل هذه مشـــاعرنا المجردة إلى خبرات حلمية مادية ومجسدة ومعاشة، وغالبًا مخيفة" (مالينوفسكي،٢٠٢٤، ٦٦).

حيثُ تجلى ذاك الهلع من خلال التكرار اللفظي للدالة (العذاب) والتضـــاد في الدالتين (الليل والنهار)، وما تحملاه من مدلولات نفسية قاسية متماثلة في المعاناة، ومتفاوتة في درجة التوترات الغالبة على الذات"، فما يشغلنا في النهار يسيطر أيضًا على أفكار الحلم، وما نكلف أنفسنا عناء الحلم إلا بتلك الأمور التي كانت في النهار داعيةً إلى التروي" (فرويد، ١٩٦٩م، ١٩٦)، فغدا الليل أكثر عذابًا وأشنع عنفًا، وهذا يشير إلى أن الذات لا تجد الراحة النفسية حتى في النوم؛ لرغبتها في تفريغ الألم، فالحلم يمثِّل للذات تجربةً مرهقةً وأقسى من معاناتها النهارية، فتتجلى لغة وصفية هذيانية تصف مشاهد العذاب النفسي الذي تتموضع فيه الذات، "ففي الوقت الذي تكون فيه لغة الشعور متسقة مع مقتضيات الواقع الاجتماعي المألوف، تكون لغة اللاشعور متنكرةً في أشكال رمزية أو في لغة بدائية تستخدم الصورة، وكأنها رؤية لمشهد حُلمي ينتقل في الحوار التحليلي" (عسكر،٢٠٢٠م، ٢٣).

ويظهر ذلك في تمثيلات تصورية رمزية، حيثُ "تخضع الأحلام لعملية إخراج، أشبه بالإخراج المسرحي، ويقوم إخراج الحلم على عمليتين أساسيتين؛ هما: التكثيف حيثُ يحدث تراكم للصورة فوق الأخرى، أما العملية الثانية من عمليات إخراج الحلم، فهي (النقل أو الإزاحة) التي تهدف إلى تحويل مركز الاهتمام من موضوع إلى موضوع آخر كتمويه" (منيف،٢٠٢٢م، ٢٥).

فصـــورة الجرف الحاد إيماءٌ إلى التهديدات والمخاطر التي تواجها الذات؛ لذا انتقلت الصـــورة إلى رمزية مكثفة حسية متراكمة الوصف، تمثلت في صورة الوحوش الكاسرة بأنيابها الصفراء المسننة، والشرر الذي يتطاير من عيونها، وتلك الصـــور تعكس عن طريق النقل والإزاحة مشـــاعر الخوف والفزع الذي يداهم الذات ويحاصـــرها، وترغب في الخلاص منه "فالأحلام تعبير عن حقائق لا مهرب منها، وعن أحكام فلســـفية، وأوهام وتخييلات وحشية وذكريات، وخطط وتكهنات واختيارات غير عقلية" (يونغ،١٩٩٧، ٢٣)؛ لذا تحوَّل النوم إلى معركة منامية تعارك فيها الذاتُ الوحوشَ التي تمثل تمظهراتها السيكولوجية الكامنة في مشاعر الفزع والهلع التي لا تستطيع الخلاص منها في الواقع؛ لتنتقل تلك الرغبة في الحلم الذي "قدَّم جملًا متسلسلة تعرضُ سلسلةً من السلوكيات والإحساسات والأفكار الملموسة (أي: التمثيلات)، وهو متوالية مصبوغة باللذة أو بالانزعاج" (نويل،٢٠١٨م، ٤٦).

فاللذة تكمن في الرغبة والانعتاق من تلك التمثيلات النفسية المفزعة، ولكن يحدث التراجع والتقهقر من قِبل الذات، فتهوي وتسقط، وهذا يشير إلى العجز النفسي وانكسارها الواقعي والمنامي،ويُعدّ هذا المنام من الأحلام غير الريمية والتي يطلق عليها (هيبناجوجيا) الهلوســـة التنويمية، المصـــحوبة غالبًا بصـــور الســـقوط (مالينوفســـكي،٢٠٢٤، ٢١)، والعجز والهزيمة، فجفاف الحلق وتحوُّل اللســـان عن صـــورته إلى حطب دليلٌ على فقد الذات إلى وسائل الراحة في مضمار حياتها وانعدام أمانها النفسي، حيث يرمز تحوُّل اللسان إلى حطب في المنام إلى الخصومة والعراك (ابن سيرين، وآخرون،٢٠٠٨م،٣٠٢). خاصةً إذا علمنا أن الحلم لشخصية إلياس نخلة الذي فقد سُبل العيش الكريم جرَّاء الخسارة التي تعرض لها لمقامرته بأشجاره؛ لذا عليه خوض العراك مع الحياة لإثبات ذاته.

ويكمن الانزعاج في عدم الانفكاك والانعتاق من ذاك الهلع، وتلك الكوابيس التي تحاصر الذوات الشاخصة في الرواية، فغدا الفزع والرعب سمةً سيكولوجيةً متشظيةً في صورة مستمرة ومتجددة "الأحلام المرعبة التي لا تتركني ليلة واحدة" (منيف،٢٠٢٢م، ٢٠٩)، حيثُ يعجُّ السياق بجملة من الصراعات النفسية التي تواجهها الذات، وإلى مخاوفها التي لا تستطيع التخلص منها، وهذا يعكس شدة التوتر الذي تشعر به، والذي يلاحقها بشكل متكرر ومتراكم، فتشظِّي الحلم في بُعد نفسي ينطوي على الكثير من المشاعر المضطربة المفزعة التي فرغتها الذات في منامها تكثيفًا رغبة في الانعتاق؛ لتحاكي الخطر المفزع مناميًا" فالأحلام تغمرنا في سيناريوهات مُهدّدة، ويساعدنا هذا على التدرب على ما يجب أن تفعله في تلك المواقف ،ففي هذه الأحلام نحاول غالبًا أن نهرب كما كنا لنفعل في حياة اليقظة" (مالينوفسكي،٢٠٢٤، ٧٧).

وحالة الهروب تلك تجسدت في حلم آخر، لتمثَّل سيكولوجية الذات المتألمة، متخذتًا منهجًا إسقاطيًا تمثل في عملية الإزاحة، والتي تعني: "إزاحة شحنة وجدانية داخلية عن موضوعها الحقيقي إلى موضوع خارجي، والإزاحة من ميكانيزمات إخراج الحلم أو عمل الحلم" (طه، وآخرون، د.ت، ٤٢)، حيثُ تقوم الذات بإسقاط ما تعانيه على الأشجار والأب، "حلمتُ بتلك الشجرة في نفس الليلة التي لعبنا. بدت لي تتألم، تبكي... وتراءى لي أبي وقد امتلأ وجهه بالندوب، كانت أكثر من ندوب، كانت جراحًا تنزف. خِفت من ذلك، تألمت" (منيف،٢٠٢٢م، ٤٩)، فالشجرة، التي تُعَد رمزًا للحياة والاستقرار، تظهر في حالة ضعف واستسلام، ورؤيتها في المنام بتلك الصورة الحزينة إشارة إلى الهموم والنكد، والجراح التي "تنزف" تشير إلى جرح مفتوح عاطفيًّا، يرمز إلى عدم القدرة على الشفاء من المعاناة التي تمثلت في الضرر المادي الذي أصابها،(ابن سيرين، وآخرون،٢٠٠٨م،٦٢٧) "إن الأحلام في حقيقة الأمر ظواهر سيكولوجية ... تنتج عن الصراع النفسي بين الرغبات اللاشعورية المكبوتة، وبين المقاومة النفسية التي تحاول كبت هذه الرغبات اللاشعورية".(البصير،٢٠١٤م، ٨٥)

ويتجلى اللاشعور في الرغبة والانعتاق من الألم بواسطة الإسقاط المنامي، كحيلة دفاعية للذات؛ لتزيح عن ذاتها الألم المكبوت "دون أن تفطن إلى أنها دوافعها الخاصة، أو اتجاهاتها وميولها وخصائصا الذاتية" (طه،وآخرون،د.ت،٥٠-٥١)، حيثُ تظهر الشجرة والأب في حالاتهما المتألمة، كرموز مناميَّة تحمل معاناة نفسية صراعية داخلية، تتأرجح فيها الذات بين الخوف من الألم، وبين الجروح التي لم تبرأ بعد، الرامزة إلى استمرار الضغط النفسي، وأزمات الذات التي تمثلت في الدالتين (خفت، تألمت)؛ لتعكس ألم الذات نفسها، ثم إن هذا التكرار الحرفي لتاء الفاعل ساهم في توضيح شدة انفعال الذات، وتسارع مدلولات الخوف والألم، وهذا يكشف بحث الذات عن الملاذ والخلاص، فتلجأ إلى عالم الأحلام "لم أعد أملك إلا الحلم ... وهذا الشيء الوحيد الذي يخفف من عذاب هذه الحياة. إنه لولا الحلم لَما تمكنت من الحياة لحظة واحدة! قل لي ما هي الحياة بدون الحلم؟" (منيف،٢٠٢٢م، ١٢٦).

إذن رغم ما تجده الذات من عناء وخوف في المنام، إلا أن تلك المنامات تحقق لها بعض اللذة التي تسهم في إصلاح حالتها المزاجية، لقد أصبحت الأحلام ملاذًا وحيدًا، غدَت ذاك الملجأ الذي يخفِّف الأثقال النفسية،

فالحلم هو الذي يمنح الذات القدرة على مواصلة العيش رغم ما تمر به من ألمٍ وتحديات، تمظهرها مناميًّا، كنوع من التفريغ لمشاعر العجز والألم، وبهذا يغدو الحلم لغةً شخصيةً ذاتيةً، وليس أمام الذات من سبيل سوى تحريف الصورة النفسية للغة؛ لتصبح لغةً لا شعورية أو لغة للرغبة (عسكر،٢٠٢٠م، ٢٤).

حيثُ تنتقل تلك الرغبة المكبوتة في سيكولوجية نفسية متأرجحة بين الانهزام الداخلي، والبحث عن الأمل، "ولكن أحلامًا مجنونة بدأت تحُوم في رأسي. كانت تمر الساعات وأنا أحلم، وبدأت تعاودني فكرة الأرض والأشجار. أبعدت هذه الأحلام مرةً، أبعدتها مرةً أخرى، ولكنها لا تغيب يومًا حتى تعود أقوى وأشد في اليوم التالي، إلى أن سيطرت عليّ ولم أستطع مقاومتها" (منيف،٢٠٢٢م، ١١٣).

فالذات تعود إلى الماضي المزهر مناميًّا؛ لتمنح ذاتها طاقةً متجددةً في العودة إلى الحياة الهانئة، ثم تداهمها حالة اليأس التي تجلت في السياق اللغوي "أبعدت هذه الأحلام مرةً، أبعدتها مرة أخرى"؛ للدلالة على عجزها في تحقيق تلك الرغبة واقعيًّا، وهو ما يُومِئ إلى الاضطرابات النفسية العميقة، "فظاهرة الحلم يمكن أن تُرَد في جملتها إلى ظاهرة التذكر، فلا يكون الحلم سوى مظهر ينمُّ عن نشاط استحضاري يعمل حتى في خلال الليل" (فرويد، ١٩٦٩م، ٥٩)، فوصف هذه الأحلام بالمجنونة إشارةٌ إلى تناقضات الذات الداخلية، التي تكمن في الرغبة والحاجة إلى عودة زمن الأشجار، والذي يمثِّل عودة الحياة، مع تزايد تلك الرغبة الجامحة،كلما سعت الذات إلى إخمادها يقينًا منها في انعدامها، فتنبثق الرؤى المتوالية التي تفلت من قبضة الوعي إلى اللاواعي، فتزجّ بها في دوامة من التصورات المتناقضة التي تضيء لها الأمل تارةً وتمحوه تارةً أخرى؛ فتتجلى مشاعر الهروب حتى من الأفكار التي تمنحها جانبًا من الطمأنينة، إذن هذا الحلم يعكس الانهزام الداخلي، وحالة الاختلال النفسي؛ لوقوف الذات على رغبة مضادة مخالفة لواقعها.

وتتجلى الأحلام في سيكولوجية رمزية ذاتية أخرى تمثلت في الاغتراب النفسي؛ نتيجة شعور الذات بالوحدة ورغبتها في الانفصال عن الواقع، وهو ما يوحي بأن الذات تعيش تجرِبة نفسية معقدة "أنت في الليل تعدّ النجوم وتحلم... وظَلِلتُ وحدي أعدُّ النجوم وأحلم"، فبات الحلم وسيلةً للهروب من الواقع، أو وسيلةً لتحقيق الطموحات، فيكون بذلك "تحقيقًا مقنعًا لرغبة مكبوتة، لكون هذه الرغبة مضادةً للقانون على مستوى الواقع الخارجي، والعالم الداخلي الذي يمثله الأنا الأعلى"، أو الذات؛ لتحقيق التواصل مع ما هو أبعد من الواقع، وهو ما يعكس الحاجة إلى الأمل والتجديد، وإيجاد معنى وقيمة في الحياة والابتعاد عن العالم المليء بالغموض والتحديات.

لذلك تلاحق الذات أحلامها المجنونة دون توقُّف؛ لوجود حاجة ماسّة تلحُّ على الإشباع "في هذه الفترة بدأت تراودني الأحلام المجنونة نفسها! بدأت أفكر كثيرًا وأحلم... حلمتُ أني أعمل في الفرن" (منيف،٢٠٢٢م، ١٥٠).

لقد وصلت الذات إلى مرحلة التشظِّي الفكري نتيجة الفوضى والاضطراب النفسي الذي تتعرض له، وهو ما جعلها تبحث عن بدايات حياتية وشعورية جديدة،" إن الأحلام يمكنها أن تمنحنا ومضات من التبصُّرات الإبداعية أحيانًا تقدمّ شيئًا لنا نبدعه بعد ذلك" (مالينوفسكي،٢٠٢٤، ٧٣)، فحلم الذات بالعمل في الفرن رمزٌ يوحِي إلى الرغبة في التحول والشعور بالقيمة والإنجاز "فالإنسان يصنع رموزًا أيضًا باللاشعور، وبصورة عفوية على

شكل أحلام".(يونغ، ١٩٨٧م،١١)؛ لذا حمل الحلم مدلولات عدم الاستقرار النفسي الكامن في الدالة (المجنونة)، مع الرغبة في الاســـتقرار والبحث عن المعنى والهوية في الدالة (أعمل)، وتجلّت مدلولات التقلب والتحول في الدالة (الفرن)، حيثُ تشـير في المنام إلى المكانة والمسـتوى المعيشـي، وبما يجري عليه من متغيرات وتقلبات من الخير أو الشـر، ومن الزيادة أو النقصـان (ابن سيرين، وآخرون،٢٠٠٨م،٨٥١)، وهذا يشـير إلى تفاقم الضـغوط النفسـية، وتأزُّم الذات الباحثة عن هويتها وقيمتها، ويُعد هذا من المثيرات التي تهيج الذات، فتجعلها بطريقة لا شـعورية تلجُ في حلم يحمل دلالات رمزية "إن ما لا يستثيرنا لا نحلم به، وإنما ما يستثير أحلامنا ... هو ما لم يكتمل حاله من أمور، ولم نبلغ فيه إلى نهاية" (خزعلي، ٢٠٠٤م،٥٤).

فتنسج الذات الأحلام بطبيعة سيكولوجية متشظية تكتظ بالأمل؛ جرَّاء ما تعانيه من إحباط واقعي، مع تراكم الرغبات "أحلم أني اشـتريت أرضًـا، وغرسـتُ فيها أشـجارًا. وأحلم أني تزوجت. وقد تجرأت ذات يوم وحلمت أني اشـتريت حصـانًا أسـود. كان حصـانًا جميلًا وقويًّا، وفي صـباح كل يوم، في العتمة الخفيفة عند الفجر، أسـرجه، ثم أركبه، ونطوف خلال سـاعات الصـباح الأولى في كل أنحاء البسـتان. وكنت أنفض عن كتفي الندى المتسـاقط من أوراق الشـجر، فيسـقط على الأرض، وأسمع لسـقوطه رنةً عذبةً. كنت في ذلك الوقت أشـعر بلذة لا تُقاوَم، وأنا أرقب الأشجار تنمو وتثمر! ولكن الحياة لا تترك للإنسان حتى أن يحلم" (منيف،٢٠٢٢م، ١٥٠).

لقد وظّفت الذات في حلمها دلالات رمزية مرئية خلقت إحساسًا بالحيوية اللحظية، وأضْفت جمالًا يعكس الرغبة الطامحة لنيل الفرحة والسـكينة، وتجلى ذلك في رمزية العتمة الخفيفة عند الفجر، والندى المتسـاقط من أوراق الأشـجار، ثم رمزية الأرض الحالمة التي تشـير إلى الرغبة في بناء حياة جديدة يحيطها الأمل، متموضـعة في طاقات مفعمة بالعزة والجاه والقوة والحرية والانطلاقة السـريعة نحو الحياة بشـكل مسـتقر، وهذا كله تمثَّل في رمزية الحصـان الأسود (ابن سيرين، وآخرون،٢٠٠٨م، ٣٧٠- ٣٧١)، ثم تأتي صورة الأشجار برمزيتها المفعمة بالنمو والازدهار إن الأحلام قد تسـاعدنا في اسـترجاع حياتنا الرائعة، والوقوف على التمفصـلات الأكثر حيوية والأعظم أهمية (مالينوفسـكي،٢٠٢٤، ٧٠). لكن الحياة الواقعية قد تهدم كل وسـيلة تسـعى إليها الذات لتحقيق مبتغاها؛ لذا خلق الشـعور بالإحباط تباينًا قويًّا بين الحلم والواقع. الحلم يسـعى إلى تحقيق الطموحات، ومنح الذات شـعورًا بالسعادة، في حين أن الواقع يقضي عليها بقسوته.

لتتمثل سـيكولوجية الأمل المبطنة في التمرد السـلوكي في حلم آخر بطريقة تمثيلية تنمّ عن تشـظي الذات "كل رجل حلم مئات المرات بأشـياء خطيرة، صـحيح أن الأحلام تختلف من واحد لآخر... كنت أحلم ... (في) ممثلات السـينما، وتجرأت مراتٍ وفكّرت بزوجات الأغنياء، وفي مراتٍ أخرى ببنات الجامعة... وإذا لم تكونوا أنتم قد فكّرتم مثلي فلا شك أنكم تكذبون. لقد حلمت كثيرًا، نعم حلمت، وما أزال أحلم... سموا ما أحلم به خطيرًا، لا يهمني، ولا يهمني أن أكون على وفاق مع أحد" (منيف،٢٠٢٢م، ٢١١).

يعكس الحلم صـراعًا داخليًّا بين الرغبات المكبوتة، والمجتمعية الرافضـة. الأحلام التي ذكرتها الذات تمثل رغبات قد تكون غير مقبولة اجتماعيًّا، وحتى اعترافًا بها في عالم الأحلام، هذا الاعتراف يُعد تمرُّدًا على الحياة والمجتمع

مناميًّا، حيثُ ترمز السياقات في الحلم إلى مدلولات تخالف المدلول الأول اللغوي، حيثُ تتراءى لنا أن هذه الشخصيات ما هي إلا رموز للرغبات المثالية والخيالية التي تأمل الذات في الحصول عليها، فالممثلات يرمزن إلى السعي وراء تحقيق الإنجازات والوصول إلى النجاح، أما زوجات الأغنياء فتمثيلات لمدلولات القوة والجاه والسلطة، وبنات الجامعة ترميزٌ للسعي والطموح، والبحث الدائم؛ لتحقيق النجاح والرفعة، وهو ما يعكس رغبة الذات في مستقبل يضج بالسكينة والهدوء، مع الانعتاق من الحرمان الواقعي؛ لذا جاءت الإشارة إلى "الأشياء الخطيرة"؛ لتعكس التوتر بين الرغبة وقمعها في والواقع، لتنتقل إلى الأحلام، وتخفي وراءها تلك الرمزيات الطامحة والراغبة في الحياة عن طريق الاستدماج الذي تقوم فيه الذات "بنقل الموضوعات وصفاتها النوعية من الخارج إلى داخلها، وهو ميكانزيم دفاعي ، يشكّل نمطًا للإشباع" (طه، وآخرون، د.ت، ٤٧) عن طريق الأحلام.

لذا تُصِر الذات على رغبتها في الخلاص من الواقع المرير بواسطة سيكولوجية التمرد والعنف في حلم جديد منامي، حيثُ يمثل التمرد "السلوك الذي يتضمن الثورة والغضب والعصيان، وعدم الطاعة لما يطلب، وردة فعل عنيفة تجاه الأفراد والأشياء المحيطة به، مما يسبب إلحاق الأذى بنفسه، أو بالآخرين" (بشير،٢٠١٢م، ٣٧)، فيتشظى الشعور النفسي العميق "بدأت أركض في أحلامي، كنت أسقط الخيالة عن خيولهم، وأضربهم حتى يموتوا" (منيف،٢٠٢٢م، ٢١٧).

يُشير الحلم إلى وجود مخاوف مكبوتة، ورغبة الذات في الهروب من الواقع، والبحث عن الحرية من خلال الدالة (الركض)، مع وجود رغبة جامحة تمثلت في سيكولوجية التمرد والعدوانية على تلك القوة المسيطرة، التي تشير إليها الدوال اللغوية (الخيالة، خيولهم)؛ لذا تسعى الذات إلى الانتقام والتخلص من مصادر الألم عن طريق التحول، وتدمير العقبات والتحديات التي تواجها بواسطة (الضرب حتى الموت)، وهي وسيلة لجأت إليها الذات "لحل الصراع الذي ينشأ في الشخصية عن طريق تحويله إلى حل يبدو في عرض جسمي، وكأن الشخص هنا بدلًا من أن يعبّر عن صراعاته تعبيرًا نفسيًّا خالصًا يحوّله إلى تعبير جسمي، وتتم هذه العملية على مستوى لا شعوري" (طه، وآخرون، د.ت، ١٠٤)، من خلال ممارسة عملية الضرب العنيف الذي يؤدي إلى الموت. "إن نزعة العدوان تكشف عن كونها أساسًا للحالات التي تكون عليها الشخصية... ويظل هذا العدوان صورة تحتية لكل العلاقات اللاحقة ... بين الأنا وعالم الموضوعات، حيث تظهر العدوانية في أشكال الغيظ والاستياء" (عسكر،٢٠٢٠م، ٦٧)، فالحلم يصف حالةً من العدوان والعنف، ومحاولة التخلص، والنجاة من الهموم (ابن سيرين، وآخرون،٢٠٠٨م، ٨٧٥) من خلال الأحلام والتخيلات، وهو ما يعكس حالة نفسية عميقة ثابتة تمثلت في الأفعال (أركض، أسقط، أضرب) الدالة على ثابت الحالة النفسية المضطربة، والمستاءة من الحياة بكل تفصلاتها.

هذه العدوانية التي تكنّها الذات نحو الواقع والمجتمع نابعة من أفعالهم التي قيدتها، ومنعتها من ممارسة الأحلام "ما أتعس الدنيا، وما أتعس البشر، إنهم لا يتركون الإنسان يحلم لحظة واحدة" (منيف،٢٠٢٢م، ٢١٢)، فتتجلى نبرة مأسوية مفعمة باليأس والخيبة، وكأن الأحلام باتت ترفًا غير مسموح به في عالم مليء بالقسوة يسلب الذات

لحظاتها الحلمية التي تعيد لها الأمل، فالذات تحتاج إلى سعة وفضاء تبث فيه ضغوطات الحياة، لكن هناك دائمًا من يطفئ تلك الرغبة، ويتتبعها حتى في عالم الأحلام.

ويتجسد الصراع النفسي في تحولات سيكولوجية أعمق تعاني من التضارب الانفعالي بين مشاعر الأمل والفقد؛ لتتجلى في هذه الزاوية الرمزية "أتطلع إلى نفسي أحلم أغنّي بصوت مجنون، أغني دون صوت، أبكي، ثم لا شيء كان يحمل طبق الحلاوة ويغني لنفسه، وبعد فترة صار يغني للآخرين من أجل أن يبيع الحلاوة، ولم تمض سنة حتى أصبح يشتهي الحلاوة، ويغني من أجل أن يشتريها من الناس" (منيف،٢٠٢٢م، ١٩٦).

تظهر الذات في الحلم كشخصية تتطلع إلى نفسها، الأمر الذي يعكس رغبتها في فهم هويتها الحقيقية التي ترمز إلى حالة من الانفصال بين الذات والواقع، حيث تتجلى أحلامها في الغناء، الذي يرمز إلى الحرية والفرح، لكن هذا الغناء يتخذ طابعًا مجنونًا (أغني بصوت مجنون)، وهو ما يشير إلى الاضطراب النفسي الذي تعاني منه

ويتمظهر الاضطراب النفسي في صورة انفعالية متشظية مضادة، فيظهر في الحلم طبق الحلوى كرمز للمتعة والفرح والرزق الواسع (ابن سيرين، وآخرون،٢٠٠٨م، ٣١٢)، لكنه يتحول إلى رمز للاحتياج والرغبة. في البداية، كانت الذات تحمل طبق الحلوى وتغنّي لنفسها، وهو ما يدل على حالة من الاكتفاء الذاتي. لكن بعد ذلك تمارس الذات الغناء للآخرين من أجل بيع الحلوى، وهو ما يعكس تحوُّلًا في دوافعها من الذاتية إلى الحاجة الاجتماعية الداعمة لها، ومن مظاهر الاكتمال إلى حالة الشعور بالنقصان. هذا التحول يعكس الصراع بين الرغبة في الاستقلالية والاحتياج إلى الاندماج الاجتماعي، من أجل الحفاظ على البقاء رغم الإحباطات والخيبات والتعقيدات التي تعكس حالةً من الفقد، حينما باتت الذات تشتهي تلك الحلوى بالعودة إلى ذاتها مع رفضها للواقع الرافض.

ويبدو أن الذات ترغب في ذاك الاندماج الاجتماعي شرط أن يتغير؛ لذا تؤكد رغبتها الرافضة للواقع جراء ممارساته اللاعقلانية عليها، ويتجلى ذلك في السياق اللغوي "ولكنَّ في داخلي صوتًا صغيرًا أطرب له، وأحب أن أسمعه دائمًا. وهذا الصوت يقول لي باستمرار: ارفض هذا العالم ... وإن استطعت يجب أن تساهم بتغييره" (منيف،٢٠٢٢م، ٢٠٣)، فصوت الذات الداخلي يرمز إلى الرفض والرغبة في التحرر من الضغوطات النفسية التي تجلت في السياق اللغوي البوحي أيضًا "آه لو أستطيع أن أقفز خارج الكون أنت تحلم كثيرًا ولكن هل بقي غير الحلم؟ ماذا أستطيع أن أفعل؟ سألت نفسي هذا السؤال مرات كثيرة، ولم أستطع أن أجيب" (منيف،٢٠٢٢م، ٢٢٤).

ففي السياق اللغوي "آه لو أستطيع أن أقفز خارج الكون" تتجلى الرغبة المكبوتة في الهروب من القيود التي يفرضها الواقع. إنها صرخة داخلية تعبر عن إحساس الذات بالعجز عن تغيير وضعها الحالي. فالكون –بمحدوديته القاسية– يمثل أكبر القيود المحاصرة لهذه الذات، والشعور بالاختناق يراودها، ويجعلها تتمنى التحرر من هذا الحيز الضيق بكل ما فيه من ألم وأعباء، فلجأت الذات إلى عالم الأحلام دون وعي؛ لتعكس حالةً من النقد الداخلي الذي يشير إلى أن الذات باتت خانعةً، فجاء الاستفهام "ولكن هل بقي غير الحلم؟"؛ ليفصح عن التحدي

النفسي الأعمق المكتظ بالتذبذب والتأرجح بين الإحباط والشك، حيث يظهر الحلم كخيار وحيد في ظل فقدان الأمل الواقعي الذي نتج عنه هذا البوح المنولوجي، الممتنع عن منح إجابات شافية قد تمنح الذات بصيصًا من الطمأنينة النفسية، فبات الحلم وسيلةً للهروب المؤقت، فهو لا يحرر الذات من الواقع القاسي، بل يجعلها تتوهم وجود مخرج في عالم الأحلام، فأضحت الذات في اغتراب داخلي منامي أشد قسوة من الواقع.

لذا تطمح الذات إلى ترك عالم الأحلام حتى تستطيع أن تفكر بهدوء "لو تركت الأحلام وفكرت بهدوء" (منيف،٢٠٢٢م، ٢١٣)، فاستخدام الدالة (لو) تفيد الامتناع، وعدم تحقق المرغوب فيه، وهو ما يموضع الذات في دائرة الإحباط والاستسلام، حيث تشعر بأنها غير قادرة على تحقيق ما تريده، لكن في الوقت نفسه يمكن لها أن تغامر، وتتقدم خطوةً نحو النضج النفسي الكامن في التفكير والتأمل، حتى تصل إلى درجة من الفهم والتقبل الذاتي بعيدًا عن الأحلام واللاشعور.

لهذا تتحول الذات إلى مضمار حلمي آخر، "فإذا كان الحلم هو الباب الملكي للوصول إلى اللاشعور، كأنقى الحالات التي تنتج فيها المادة الحلمية اللاشعورية الأصلية لضعف الرقابة، فإن اللاشعور لا يخطئ طريقه، وإذا ما أغلقت إحدى مسارات الإفراغ، فإنه يلجأ إلى مسارات أخرى فيبدو في ... أحلام اليقظة" (عسكر،٢٠٢٠م، ٢٦)، فتتخذ الذات لها وسيلة دفاعية أخرى تفرغ فيها مشاعرها المكبوتة.

تشظيات أحلام اليقظة ورمزيتها السيكولوجية:

تُعَد أحلام اليقظة من التصورات الفكرية، والتمثيلات التي تتخيلها الذات في يقظتها، فهي تعلم بأنها تتخيل، وأنها لا ترى بل تفكر؛ لذلك فهي أكثر واقعية من الأحلام في حصر المعنى (فرويد، ١٩٦٩م، ٢٥)؛ لأنها تساهم في الخلاص، وتمنح الذات الثبات، وفرصة إلى أن تَلِج إلى أعماق جوهرها في لحظات عابرة تموضعها في عالم تصوري تأملي (باشلار،١٩٩١م، ١٦-١٨).

فأحلام اليقظة هي عملية تخيلية تمكِّن الذات من تصور إشباع رغباتها ودوافعها التي لم تتحقق في الواقع، سواء بسبب وجود عقبات، أو نتيجة كبت لهذه الرغبات، ففي هذه الأحلام تختفي جميع العوائق التي تمنعها من تحقيق ما ترغب فيه، وهو ما يسمح لها بالهروب من صعوبات الحياة ومتاعبها، من خلال الغوص في عالم خيالي خاص بها، حيث قد تتحقق آمالها ورغباتها، وتستطيع تلبية دوافعها وميولها بشكل كامل؛ لذا تلعب أحلام اليقظة دورًا مهمًّا في الحياة، حيث تُعد وسيلةً تعويضيةً لمشاعر الفشل أو النقص، فتجد الذات متنفَّسًا لمشاعرها وأمانيها، وهو ما يساعدها على مواجهة التحديات بشكل أفضل (البصير،٢٠١٤م، ١٤٣)، من خلال تفريغ المكبوت لغرض الشعور بالانضباط النفسي.

وقد تمثلت أحلام اليقظة بتشظياتها السيكولوجية في الرواية؛ لتجلي الحالة النفسية التي تمر بها الذات، فنجد سيكولوجية القمع والهدم للعواطف نتيجة الكبت، وهو ما دعا الذات إلى أن تتصور محبوبتها مع شخص آخر "عفوًا... تصورتك في بذلة سوداء، وتضع رباط عنق مثل ذلك الذي نراه في السينما، ورحاب بثوب أبيض طويل، وفتاتان صغيرتان تحملان وراءها أذيال الثوب... حفلة سعادين" (منيف،٢٠٢٢م، ٢٣٥).

لتتمثل سيكولوجية تناقضية مفعمة بالتوترات (الجدية والسخرية)، الجدية الكامنة في الصورة التصورية الأنيقة التي رسمتها الذات في يقظتها لصديقها وهو يرتدي بذلة سوداء؛ ليقترن بمحبوبتها رحاب التي جاءت بثوب أبيض طويل يرمز للنقاء والبراءة، كما الفتيات اللواتي يحملن أذيال الثوب، ورمزية الاسم رحاب الدال على السعة والرخاء ثم ترتسم الصورة التي تشير إلى السخرية والفوضى بواسطة السياق اللغوي الذي أخرج الصورة كاملة على أنها: (حفلة سعادين)؛ ليرتبط الحلم الشعوري برمزية نفسية ذاتية مكتظة بالتوتر والانزعاج، مع الرغبة الجادة في هدم العواطف والقضاء عليها، حيثُ تمظهر ذلك في دلالة اللون الأسود، فتصورت الذات هذه الصورة؛ لتكون بمثابة الدرع النفسي الذي يحميها من الضغط النفسي الذي تتموضع فيه.

هذا التناقض المضطرب ينتقل في صورة أخرى كإرصان ثانوي يتم فيه تعديل الحلم بُغيةَ تقديمه على شكل سيناريو مفهوم ومتماسك نسبيًّا (لا بلانش، وآخرون،١٩٩٧ م، ٦١)؛ ليتجلى في سيكولوجية التأرجح بين الطموح والأمل، والخيبة واليأس في سياق الحلم اللغوي "تتصور حياتك في ساعات معينة كأنها حياة نابليون، ولكن في ساعات أخرى تتصورها مجدبة منحطَّةً، ليس فيها أي شيء. الصورة الثانية هي الحقيقة المطلقة، هي أنت الذي يقضمُ أظافره، الذي يدخِّن بشراهة ذئب، الذي يريد أن يحوِّل بحار العالم إلى عَرَق ليشربه، ليغرق فيه" (منيف،٢٠٢٢م، ٢٦٥).

تنعكس رمزيات الطموح والأمل في استدعاء حياة نابليون المتحلية بمفاهيم القوة والعظمة التي تطمح إليها الذات، ثم ما تلبث الذات في التموضع والشعور بالفشل والخيبة، حينما تركن إلى تصورات تعيسة عن حياتها، تشعرها بالتناقض بين الحياتين: الأولى مفعمة بالحياة والإنجاز، والثانية الخاصة بها مجدبة لا روح فيها تكتظ فيها مشاعر الخوف والشعور بانعدام تحقيق ما تصبو إليه (ابن سيرين، وآخرون،٢٠٠٨م، ٤٢٧)، ويتجلى ذلك في صورة الذئب الذي يدخِّن بشراهة؛ لذا تتطلع الذات إلى تحويل بحار العالم إلى عرق؛ هروبًا من ضعفها، ولتتزيَّا بمشاعر القوة والسيطرة متحدِّيةً مشاعر ذاتية معقدة.

فتقوم الذات في خطوة جديدة بتحويل طاقة الحلم إلى "الإرصان النفسي: وهو تحويل كمية الطاقة، مما يتيح السيطرة عليها من خلال تعديل مسارها أو بربطها" (لا بلانش، وآخرون،١٩٩٧ م، ٦٠)، حيثُ تطرح الذات أسئلةً تواجه بواسطتها شعورها الانفرادي "وأنت بماذا تحلم الآن؟ ... قد تحلم أكثر... يمكن أن تحلم أكثر. لا أحد يحاسب على الحلم ... إن الأحلام الشيء الوحيد الذي يمارسه الإنسان دون رقابة" (منيف،٢٠٢٢م، ٢٦٨)، فالحلم ليس لغةً خاصةً بالذات؛ فالجميع يحلم، ويستطيع الإفلات بواسطته من رقابة المجتمع دون تردد أو خوف، ثم تعود الذات الحالمة بعد أن شعرت بنوع من الراحة النفسية في وصف حلم اليقظة الخاص بها من خلال ربطه بعالمها الخاص؛ لتتكشف لنا حالة الضغط النفسي الذي لا ينفك عنها "إن لدى منصور فلسفة خاصة، فلسفة بسيطة تتلخص في أن كل إنسان قادر على أن يتخيل أي شيء، ما عليه إلا أن يغمض عينيه ويركز أفكاره، أو ينظر إلى الغيوم. كان يستطيع أن يرى في الغيوم خيالًا، وقد رأى مراتٍ كثيرةً وجوه نساء. وكثيرًا ما كان يرى امرأة يعرفها. وفي حالات معينة رأى قطةً وكلبًا يتعاركان. ليس هذا فقط، يستطيع منصور أن يفعل أشياء كثيرة؛ إذ زيادةً على التخيُّل، يستطيع أن يحلم" (منيف،٢٠٢٢م، ٢٧٣- ٢٧٤).

فالحلم يعكس كيفية استثمار الذات لحالة التخيّل والانتقال بين الواقع والخيال. في هذا السياق، يتضح أن الذات تصوِّر مواقفَ وأفكارًا وصورًا ذهنية في وعيها أثناء اليقظة، هذه الظاهرة تُعد أحد أنواع الهروب النفسي، وأداة لاستكشاف الذات، فتأتي الأحلام في سياق يربط بين التجارب الداخلية والتفاعلات النفسية. عندما تصور الذات "وجوه النساء" التي ترمز إلى الحياة وزينتها، و"قطة وكلبًا يتعاركان"؛ لتصف صراعًا داخليًّا مع الحياة التي لا تمنحها الجمال، وهو ما جعلها تكتظ بمشاعر الجفاء والبؤس النابع من صورة التعارك بين القطة والكلب (ابن سيرين، وآخرون،٢٠٠٨م،٨٩٤٩٥٧، ١١٤٥.)، فتتماهى مع هذه الصور كوسيلة لتفريغ الطاقة النفسية؛ لذا تُصِر الذات وتدعو نفسها إلى المواصلة في أحلامها "أحلم يا أستاذ الجامعة السابق. الحلم الشيء الوحيد الذي تحسنه، ولن يحاسبك عليه أحد" (منيف،٢٠٢٢م، ٢٨٠).

إذن أحلام الذات تحمل بُعدًا نفسيًّا عميقًا يتناول العلاقة بين الحلم والواقع، خصوصًا في سياق تعايشها الصراعي بين الطموحات الذاتية والنتائج الواقعية. فالمدلول السياقي أحلم يا أستاذ الجامعة السابق. الحلم الشيء الوحيد الذي تحسنه، يمظهر سيكولوجية تخرج إلى مظاهر التحسر والندم على الذات التي تظل عالقةً في عالم الأحلام دون أن تحقق طموحاتها في الواقع، ونتج عن ذلك شعورها بالخيبة والعجز، فغدا عالم الأحلام كنوع من الفرار.

فتصور الذات في حلم يقظة آخر حديثها، وعقدها اتفاقات تصورية تخيلية: "اسمعي... سنذهب الآن إلى شاطئ البحر. لن نبقى هناك طويلًا حتى الخامسة ... أموافقة على ذلك؟ تهز رأسها" (منيف،٢٠٢٢م، ٢٧١).

فالشاطئ يرمز إلى السلام الداخلي والهدوء النفسي وزوال الهموم والضغوطات (ابن سيرين، وآخرون،٢٠٠٨م، ١٢٤)؛ لذا جسدت الذات كل مشاعر الاستسلام والخنوع الذي تجلى في (هز الرأس) مع فقدان الرغبة الجامحة، لوجود شكوك في استمرارية ذاك الشعور، وهذا يعكس الرفض الداخلي المتذبذب لهذا الخضوع الواقعي، حيثُ تفيق الذات من حلمها؛ لتؤكد سيطرة الواقع عليها، وأنه لا جدوى من تلك المحاولات الحالمة الهادئة "لن تستطيع أن تسأل الفتاة عن عمرها... أمضغ الأحلام والأفكار والذكريات مثل أرنب، أمضغها جيدًا، لعلها تكون لك زادًا في هذه الرحلة الطويلة والمجهولة" (منيف،٢٠٢٢م، ٢٧٠).

فالسياق اللغوي يعبر عن حالة نفسية معقدة، حيث يبدو أن الذات تحاول التكيف مع حالتها التي تعكس سيكولوجيات **الضياع** والارتباك الكامن في رمزية استحضار صورة الأرنب الذي يشير إلى الخوف والجبن (ابن سيرين، وآخرون،٢٠٠٨م، ٦٨)، فالذات لجأت إلى **الأحلام والأفكار والذكريات**؛ لتجعلها كغذاء داخلي يساهم في تماسكها وانضباطها النفسي في عالم غير مستقر من خلال مضغ الأحلام.

هذه العملية قد تشير إلى **التعويض النفسي**، حيث تسعى الذات للعثور على العزاء والأمل في الداخل بعد أن أصبح العالم الخارجي غير قابل للتفسير أو السيطرة عليه، فتؤكد الذات فكرتها التي توصلت إليها بعد انغماسها في عالم الأحلام "ولكن ما فائدة كل هذا الذي أفكر فيه الآن... لا شيء أبدًا يا منصور، ما جدوى كلمة أقولها وصدري يصعد ويهبط كأني أقف أمام المحقق... لا شيء يفيد. لقد تقررت الأمور، أخذت مساراتها، ولن تستطيع أية قوة أن تغيرها. لِتَسر الأشياء كما تريد، ويمكنني أن أستمر بالحلم دون خوف، دون أن يقول أحد كلمة واحدة" (منيف،٢٠٢٢م، ٢٩٧).

تعود الذات بقناعة تامة أن الأفكار التخيلية التي تمارسها لا فائدة تُرجى منها، حيث تتراكم الأفكار دون أن تجد أي معنًى أو مخرج. هذا قد يدل على الضياع والأزمة النفسية التي تشعر بها الذات العاجزة عن رؤية فائدة حقيقية لِما تفكر فيه؛ لذا جاء السياق الدلالي "لا شيء يفيد. لقد تقررت الأمور، أخذت مساراتها، ولن تستطيع أية قوة أن تغيرها"؛ لتعطي كل مدلولات الاستسلام، وفقد عنصر الأمل في التغيير "فالواقع الخارجي غير ملائم لإشباع الدافع... ففي الحالات التي يعاق فيها إشباع الدافع إشباعًا مباشرًا وصريحًا ... يعتبر الفرد في حالة إحباط... وهنا يضطلع الأنا ما يعرف بحيل التوافق كالكبت" (طه، وآخرون د.ت، ٤٢)، فتطمس الذات رغبتها، ولكن ما تلبث برهةً حتى تتطلع إلى الانعتاق؛ لتتحوّل عن فكرتها وتعود إلى عهدها وطابعها الحلمي لممارسته، كحيل دفاعية علَّها تخرجها من حالتها المكتظة بالتوترات والضغط النفسي، ويكون الحلم بمثابة الملاذ الذي تمارس فيه الذات حريتها النفسية دون حدود أو قيود.

لتمثل الذات تشظياتها في حلم يقظة آخر يفصح عن سيكولوجية البغض والكره للآخر المختلف عنها واقعيًّا، "لو فكرت بشكل واقعي لَما كنت الآن بحاجة إلى الأحلام. لقد فقدت ارتباطي بعالمكم الواقعي. أريد أن أحلم فقط، ولكن هل تعرف بماذا أريد أن أحلم... ولكن هل تسمح لي بهذه العتمة الصغيرة... متعة أن أحلم بنهايتكم. عندما أراكم معلَّقين من أرجلكم ... احلم بما تشاء، ولكن سنبقى فوق صدرك مثل كابوس... سوف أضحك من أعماقي؛ لأني سوف أرى جثثكم مثل جثث الخنازير... توهَّم كما تشاء ... واحلم... بالله يا منصور اترك الأحلام، ولنتحدث بشكل واقعي" (منيف،٢٠٢٢م، ٣١١).

يعكس الحلم حالةً من الصراع النفسي بين الرغبة في الهروب إلى عالم الأحلام، وبين الحاجة الملحة لمواجهة الواقع والانتقام منه، وهو ما أدى إلى تمظهر التناقض الداخلي، وتجسد حالة من التوتر والضياع، والتي تجلت في الدالتين (العتمة والظلام)؛ لتتمثل مشاعر العنف والعدوانية نتيجة الإحباطات والخيبات (أحلم بنهايتكم عندما أراكم معلقين من أرجلكم ... سوف أضحك من أعماقي ... أرى جثثكم مثل جثث الخنازير)، فالتمثيل الرمزي الظاهر في السياقين "معلقين من أرجلكم" و"جثثكم مثل جثث الخنازير" يعكس رغبة الذات في السيطرة والقوة والانتقام، وهذا دليلٌ على ضعفها وعجزها في الواقع؛ لهذا مثل الضحك حالةً من الشفاء النفسي والرغبة في الانتقام؛ ليتمثل الغضب المكبوت في عالم أحلام اليقظة، فترى الذات هذه المرة جثثهم تأكلها الديدان "ألا تقول لي يا منصور بماذا تحلم الآن... أحلم أن أرى جثثكم تأكلها الديدان والغربان وبنات آوى... لا أريد أن أقول شيئًا. أريد أن أحلم، وبماذا تريد أن تحلم بعد أن ترى جثثنا معلقة على المشانق؟ ما فائدة أن أقول لك... سوف تموت وأنت تحلم، إذا كنت تريدني أن أستمتع بالأحلام فاتركني ... لا تُرِني وجهك" (منيف،٢٠٢٢م، ٣١٥).

يحمل الحلم مشاعر عميقة من الكآبة لارتباطه بفكرة الموت المنبعثة من الدوال (الجثث، الديدان، الغربان، المشانق)؛ لتشير إلى وجود صراعات داخلية والرغبة في العزلة وفقدان الانتماء، وهو ما يجعل الذات تفضِّل الهروب إلى عالم التصورات وأحلام اليقظة بدلًا من مواجهة الواقع المؤلم؛ لذا فإن الذات تتموضع في دائرة الإحباط الذي يحاول دونها وإشباع مطالبها، ولا يبيح لها الوصول إلى مبتغاها في الواقع (لا بلانش، وآخرون،١٩٩٧م، ٤٦)،

فتعود إلى عالمها الخيالي بواسطة أحلام اليقظة؛ لتستحضر رغبة الانتصار على الآخر الهادم المعادي عن طريق تلك التخيلات التي تنبعث منها رائحة الموت، والتي هي في حقيقتها تشظيات الذات السيكولوجية العاجزة.

الخاتمة:

الحمد لله حمدًا طيبًا مباركًا فيه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعدُ:

فقد توصَّل هذا البحث المعنون بـــ (تشظيات الأحلام وتمثيلاتها السيكولوجية في رواية الأشجار واغتيال مرزوق) لعبد الرحمن منيف إلى جملة من النتائج، وهي:

- أشارت الأحلام في الرواية إلى ولوج الشخصيات الحالمة في دائرة اللاوعي في المنام، والوعي في أحلام اليقظة؛ للإفصاح عن الرغبات التي لم يتم إشباعها في محيط الواقع، والتي تعرضت إلى عملية الكبت.
- استخدمت الذات الأحلام كوسيلة دفاعية، فتموضعت في عدة ميكانيزمات دفاعية كالإزاحة والإسقاط، والتفريغ والاستدماج؛ هروبًا من الواقع، والشعور بالقوة والقيمة.
- انبثقت في الرواية بعض الأحلام المنامية؛ لتمثل سيكولوجية الهلع والفزع، التي تم تفريغها في الحلم رغبةً في استعادة الاتزان النفسي وتخفيف الألم.
- تجسَّدت المأسوية في الأحلام المنامية؛ ممثلةً سيكولوجية الألم الذي تحاول الذات الخلاص منه عن طريق ميكانزيم دفاعي تمثل في الإزاحة والإسقاط، حيثُ تقوم الذات بإسقاط ما تعانيه على ذوات أخرى.
- تجلت الأحلام في سيكولوجية رمزية ذاتية تمثلت في الاغتراب النفسي؛ نتيجة شعور الذات بالوحدة ورغبتها في الانفصال عن الواقع، وهو ما يوحي بأن الذات عاشت تجربةً نفسيةً معقدةً مكتظة بمشاعر الفقد والضياع، والشعور بالإحباط.
- وظفت الذات في حلمها المنامي بعض الدلالات الرمزية المرئية التي خلَقت إحساسًا بالحيوية اللحظية؛ لتضفي جمالًا يعكس الرغبة الطامحة لنيل الفرح والسكينة.
- كشف الحلم المنامي عن رغبة الذات في الخلاص من الواقع المرير بواسطة سيكولوجية التمرد والعنف الذي تمارسه على الواقع منامًيا.
- تجسد في الأحلام المنامية الصراع النفسي في تحولات سيكولوجية أعمق تعاني من التضارب الانفعالي بين مشاعر الأمل والفقد.
- لجأت الذات إلى عالم الأحلام دون وعي؛ لتعكس حالةً من النقد الداخلي الذي يشير إلى خنوع الذات.
- كشفت أحلام اليقظة عن كيفية استثمار الذات لحالة التخيّل والانتقال بين الواقع والخيال، وقدرتها في تصوير المواقف والأفكار والصور الذهنية أثناء اليقظة دون التعلق بالواقع المادي المباشر؛ لاستكشاف ذاتها.
- تمثلت أحلام اليقظة بتشظياتها السيكولوجية في الرواية؛ لتجلي الحالة النفسية التي تمر بها الذات، فتأرجحت الذات بين سيكولوجية القمع والهدم للعواطف، الجدية، والسخرية، والخيبة والأمل.

– ظهر التناقض المضطرب في أحلام اليقظة، حيثُ انتقلت الذات في صورة إرصان ثانوي تم فيه تعديل الحلم بُغيةَ تقديمه على شكل سيناريو مفهوم ومتماسك، وكذلك تحويل طاقة الحلم إلى الإرصان النفسي الذي يقوم بتحويل كمية الطاقة، وهو ما يتيح السيطرة عليها من خلال تعديل مسارها الفردي إلى الجمعي.

– مثَّلت الذات تشـظياتها في حلم اليقظة عن سـيكولوجية البغض والكره للآخر المختلف عنها واقعيًّا والرغبة في الانتقام منه.

– بعض أحلام اليقظة في الرواية حملت مشـاعر عميقة من الكآبة لارتباطها بفكرة الموت التي أشـارت إلى وجود صـراعات داخلية تمثلت في العزلة وفقدان الانتماء، وهو ما جعل الذات تفضِّـل الهروب إلى عالم التصـورات، وأحلام اليقظة بدلًا من مواجهة الواقع المؤلم..

التوصيات:

لقد خرج البحث بجملة من التوصيات التي تنادي بضرورة العكوف على مثل هذه الدراسات؛ لتنمية المهارات التحليلية لدى الباحثين من خلال الوقوف على النتاج الإبداعي في مجال الرواية والشـعر، لقلة الدراسـات التي طبقت سيكولوجية الأحلام، كما أن الرواية يمكن دراستها ارتكازًا على موضوع أزمة الهوية؛ لإثراء الجانب الأدبي والنقدي معًا.

وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

الهوامش:

(١) جان بيلمان نويل، التحليل النفسي والأدب، ترجمة: حسن المودن، ط١ (الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ٢٠١٨م) ص١٩.

(٢) المرجع السابق، ص٢٥.

(٣) إيمان ملال، جاك لاكان وبنية اللاوعي، بحث، ع٢٥ (د. م، جامعة الجلفة، مجلة التراث، د.ت) ص٤٤.

(٤) جاك لاكان، الذهانات، ترجمة: عبد الهادي الفقير، ع٣٢، د. ط (د. م، إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية، ٢٠١٣م) ص١٥.

(٥) يُنظر: تيري إيغلتون، نظرية الأدب، ترجمة: ثائر ديب، د. ط (دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٥م) ص١٧٠.

(٦) فرج عبد القادر طه، محمود السيد أبو النيل، وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، ط١ (بيروت، دار النهضة العربية، د.ت) ص١٨١-١٨٠.

(٧) مالينوفسكي جوزيه، سيكولوجية الأحلام، ترجمة: عبد الرحيم يوسف، ط١، (القاهرة، مكتبة المحروسة للطبع والنشر باللغة العربية،٢٠٢٤) ص٣٦،٣٥

(٨) حميد لحمداني، النقد النفسي الأدبي المعاصر: تطبيقات في مجال نقد السرد، ط٢ (المغرب، برانت للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٨م) ص٢١.

(٩) ينظر: مالينوفسكي، مرجع سابق، ص٣٦

(١٠) جاك لاكان، وإغواء التحليل النفسي، ترجمة: عبد المقصود عبد الكريم (المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩م) ص٢٢.

(١١) ماري زيادة، اللسانية، وخطاب التحليل النفسي عند جاك لاكان، ترجمة: فاطمة الطبال بركة، بحوث ومقالات، ع٢٣ (لبنان، مركز الإنماء القومي، مجلة الفكر العربي المعاصر، ١٩٨٣م) ص٦.

(١٢) ماري زيادة، المرجع السابق، ص٦.

(١٣) يُنظر: باسم علي خريسان، ما بعد الحداثة، دراسة في المشروع الثقافي العربي، ط١ (دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٦م) ص٨٨.

(١٤) ماري زيادة، مرجع سابق، ص١٠.

(١٥) فرج عبد القادر طه، محمود السيد أبو النيل، وآخرون، مرجع سابق، ص١٨٣.

(١٦) يُنظر: فرج عبد القادر طه، محمود السيد أبو النيل، وآخرون، مرجع سابق، ص١٩٢-١٩٣.

(١٧) (٩) ينظر: مالينوفسكي، مرجع سابق، ص٤١،٤٠

(١٨) يُنظر: ديلان إيفانس، معجم تمهيدي لنظرية التحليل النفسي اللاكانية، ترجمة: هشام روحانا، ط١ (سوريا، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠١٦م) ص١٤٢، ١٤٣.

(١٩) جان بيلمان نويل، مرجع سابق، ص٤٨.

(٢٠) المرجع السابق، ص٥١.

(٢١) فرج عبد القادر طه، محمود السيد أبو النيل، وآخرون، مرجع سابق، ص١٣٢.

(٢٢) عبد الرحمن منيف، الأشـــجار واغتيال مرزوق، ط١٦ (القاهرة، دار التنوير للطباعة والنشـــر، ٢٠٢٢م) ص٢٨.

(٢٣) مالينوفسكي، مرجع سابق، ص٦٦

(٢٤) سيمجوند فرويد، تفسير الأحلام، ترجمة: مصطفى صفوان، ط٢ (مصر، دار المعارف، ١٩٦٩م) ص١٩٦.

(٢٥) عبد الله عسكر، مدخل إلى التحليل النفسي اللاكاني، ط٣ (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٢٠م) ص٢٣.

(٢٦) عبد الرحمن منيف، مصدر سابق، ص٢٥.

(٢٧) كارل غوستاف يونغ، علم النفس التحليلي، ترجمة: نهاد خياطة، ط٢ (سوريا، دار الحوار والنشر والتوزيع، ١٩٩٧م) ص٤٥.

(٢٨) جان بيلمان نويل، مرجع سابق، ص٤٦.

(٢٩) مالينوفسكي، مرجع سابق، ص٦٦

(٣٠) يُنظر: محمد بن سـيرين، عبد الغني النابلسـي، معجم تفسـير الأحلام، ط١ (أبو ظبي، مكتبة الصـفاء، ٢٠٠٨م) ص٣٠٢.

(٣١) عبد الرحمن منيف، مصدر سابق، ص٢٠٩.

(٣٢) مالينوفسكي، مرجع سابق، ص٧٧

(٣٣) فرج عبد القادر طه، محمود السيد أبو النيل، وآخرون، مرجع سابق، ص٤٢.

(٣٤) عبد الرحمن منيف، مصدر سابق، ص٤٩.

(٣٥) يُنظر: محمد بن سيرين، عبد الغني النابلسي، مرجع سابق، ص٢٣٨، ٦٢٧.

(٣٦) عادل عبد البصير، علم النفس في حياتنا اليومية، ط١ (القاهرة، دار الغد الجديد، ٢٠١٤م) ص٨٥.

(٣٧) فرج عبد القادر طه، محمود السيد أبو النيل، وآخرون، مرجع سابق، ص٥٠-٥١.

(٣٨) عبد الرحمن منيف، مصدر سابق، ص١٢٦.

(٣٩) يُنظر: عبد الله عسكر، مرجع سابق، ص٢٤.

(٤٠) عبد الرحمن منيف، مصدر سابق، ص١١٣.

(٤١) سيمجوند فرويد، تفسير الأحلام، مرجع سابق، ص٥٩.

(٤٢) عبد الرحمن منيف، مصدر سابق، ص١٤٧.

(٤٣) مالينوفسكي، مرجع سابق، ص٧٣

(٤٤) عبد الله عسكر، مرجع سابق، ص٢٤.

(٤٥) عبد الرحمن منيف، مصدر سابق، ص١٥٠.

(٤٦) ك، غ. يونغ، الإنسان ورموزه سيكولوجيا العقل الباطن، ترجمة: عبد الكريم ناصيف، د. ط (د. م، دار منارات للنشر، ١٩٨٧م) ص١١.

(٤٧) يُنظر: محمد بن سيرين، عبد الغني النابلسي، مرجع سابق، ص٨٥١.

(٤٨) فاطمة علي ضيف الله خزعلي، الحلم في الرواية الأردنية: دراسة تحليلية، رسالة لنيل درجة الدكتوراه (الأردن، جامعة اليرموك، ٢٠٠٤م) ص٥٤.

(٤٩) ينظر: مالينوفسكي، مرجع سابق، ص٧٠

(٥٠) عبد الرحمن منيف، مصدر سابق، ص٩٦.

(٥١) يُنظر: محمد بن سيرين، عبد الغني النابلسي، مرجع سابق، ص٣٧٠، ٣٧١.

(٥٢) المرجع السابق، ص٢١١.

(٥٣) فرج عبد القادر طه، محمود السيد أبو النيل، وآخرون، مرجع سابق، ص٤٧.

(٥٤) فايز خضر محمد بشير، التمرد وعلاقته بأساليب المعاملة الوالدية لدى طلبة جامعة الأزهر بغزة، رسالة ماجستير (فلسطين، كلية التربية قسم علم النفس ٢٠١٢م) ص٣٧.

(٥٥) عبد الرحمن منيف، مصدر سابق، ص٢١٧.

(٥٦) فرج عبد القادر طه، محمود السيد أبو النيل، وآخرون، مرجع سابق، ص١٠٤.

(٥٧) عبد الله عسكر، مرجع سابق، ص٦٧.

(٥٨) يُنظر: محمد بن سيرين، عبد الغني النابلسي، مرجع سابق، ص٨٧٥.

(٥٩) عبد الرحمن منيف، مصدر سابق، ص٢١٢.

(٦٠) المصدر السابق، ص١٩٦.

(٦١) يُنظر: محمد بن سيرين، عبد الغني النابلسي، مرجع سابق، ص٣١٢.

(٦٢) عبد الرحمن منيف، مصدر سابق، ص٢٠٣.

(٦٣) المصدر السابق، ص٢٢٤.

(٦٤) المصدر السابق، ص٢١٣.

(٦٥) عبد الله عسكر، مرجع سابق، ص٢٦.

(٦٦) يُنظر: سيمجوند فرويد، نظرية الأحلام، ترجمة: جورج طرابيشي، د. ط (بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٦م) ص٢٥.

(٦٧) يُنظر: غاستون باشلار، أحلام اليقظة: علم شاعرية التأملات الشاردة، ترجمة: جورج سعد، ط١ (بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩١م) ص١٦-١٨.

(٦٨) يُنظر: عادل عبد البصير، مرجع سابق، ص ١٤٣.

(٦٩) عبد الرحمن منيف، مصدر سابق، ص٢٣٥.

(٧٠) يُنظر: جان لا بلانش، ج. ب بوتناليس، معجم مصطلحات التحليل النفسي، ترجمة: مصطفى حجازي، ط٣ (بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٧م) ص٦١.

(٧١) عبد الرحمن منيف، مصدر سابق، ص٢٦٥.

(٧٢) يُنظر: محمد بن سيرين، عبد الغني النابلسي، مرجع سابق، ص٤٢٧.

(٧٣) جان لا بلانش، ج. ب بوتناليس، مرجع سابق، ص٦٠.

(٧٤) عبد الرحمن منيف، مصدر سابق، ص٢٦٨.

(٧٥) المصدر السابق، ص٢٧٣، ٢٧٤.

(٧٦) يُنظر: محمد بن سيرين، عبد الغني النابلسي، مرجع سابق، ص٨٩٤، ٩٥٧، ١١٤٥.

(٧٧) عبد الرحمن منيف، مصدر سابق، ص٢٨٠.

(٧٨) عبد الرحمن منيف، مصدر سابق، ص٢٧١.

(٧٩) يُنظر: محمد بن سيرين، عبد الغني النابلسي، مرجع سابق، ص١٢٤.

(٨٠) عبد الرحمن منيف، المصدر السابق، ص٢٧٠.

(٨١) يُنظر: محمد بن سيرين، عبد الغني النابلسي، مرجع سابق، ص٦٨.

(٨٢) عبد الرحمن منيف، مصدر سابق، ص٢٩٧.

(٨٣) فرج عبد القادر طه، محمود السيد أبو النيل، وآخرون، مرجع سابق، ص٤٢.

(٨٤) عبد الرحمن منيف، مصدر سابق، ص٣١١.

(٨٥) المصدر السابق، ص٣١٥.

(٨٦) يُنظر: جان لا بلانش، ج. ب بوتناليس، مرجع سابق، ص٤٦.

المصادر والمراجع:

إيفانس، ديلان. (٢٠١٦)، ***معجم تمهيدي لنظرية التحليل النفسي اللاكانية***، ترجمة: هشام روحانا، ط١، سوريا، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع.

إيغلتون، تيري. (١٩٩٥)، ***نظرية الأدب***، ترجمة: ثائر ديب، د. ط، دمشق، منشورات وزارة الثقافة.

باشلار، غاستون. (١٩٩١)، ***أحلام اليقظة***: علم شاعرية التأملات الشاردة، ترجمة: جورج سعد، ط١، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

خريسان، باسم علي. (٢٠٠٦)، ***ما بعد الحداثة، دراسة في المشروع الثقافي العربي***، ط١، دمشق، دار الفكر.

خزعلي، فاطمة علي ضيف الله، ***الحلم في الرواية الأردنية: دراسة تحليلية***، رسالة لنيل درجة الدكتوراه منشورة ، الأردن، جامعة اليرموك،٢٠٠٤.

زيادة، ماري. (١٩٨٣)، " **اللسانية وخطاب التحليل النفسي عند جاك لاكان**"، ترجمة: فاطمة الطبال بركة، (بحوث ومقالات، لبنان، مركز الإنماء القومي، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع٢٣).

سيرين، محمد، النابلسي، عبد الغني. (٢٠٢٢م)، ***معجم تفسير الأحلام***، ط١، أبو ظبي، مكتبة الصفاء.

طه، فرج عبد القادر، أبو النيل، محمود السيد، وآخرون. (د.ت)، ***معجم علم النفس والتحليل النفسي***، ط١، بيروت، دار النهضة العربية.

عبد البصير، عادل. (٢٠١٤)، ***علم النفس في حياتنا اليومية***، ط١، القاهرة، دار الغد الجديد.

عسكر، عبد الله. (٢٠٢٠)، ***مدخل إلى التحليل النفسي اللاكاني***، ط٣، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

فرويد، سيمجوند. (١٩٩٦)، ***تفسير الأحلام***، ترجمة: مصطفى صفوان، ط٢، مصر، دار المعارف.

فرويد، سيمجوند. (١٩٩٦)، ***نظرية الأحلام***، ترجمة: جورج طرابيشي، د. ط، بيروت، دار الطليعة.

لحمداني، حميد. (٢٠١٨)، ***النقد النفسي الأدبي المعاصر تطبيقات في مجال نقد السرد***، ط٢، المغرب، برانت للطباعة والنشر والتوزيع.

لاكان، جاك. (١٩٩٩)، ***وإغواء التحليل النفسي***، ترجمة: عبد المقصود عبد الكريم، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة.

لاكان، جاك. (٢٠١٣)،" **الذهانات**"، ترجمة: عبد الهادي الفقير، (إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية، ع٣٢، د. م).

مالينوفسكي جوزيه. (٢٠٢٤)، ***سيكولوجية الأحلام***، ترجمة: عبد الرحيم يوسف، ط١، القاهرة، مكتبة المحروسة للطبع والنشر باللغة العربية.

ملال، إيمان. (د.ت)، "جاك لاكان وبنية اللاوعي"، بحث، (جامعة الجلفة، **مجلة التراث**، ع٢٥، د. م).

منيف، عبد الرحمن. (٢٠٢٢)، ***الأشجار واغتيال مرزوق***، ط١٦، القاهرة، دار التنوير للطباعة والنشر.

يونغ، كارل غوستاف. (١٩٩٧)، ***علم النفس التحليلي***، ترجمة: نهاد خياطة، ط٢، سوريا، دار الحوار والنشر والتوزيع.

يونغ، كارل غوستاف. (١٩٨٧)، ***الإنسان ورموزه: سيكولوجيا العقل الباطن***، ترجمة: عبد الكريم ناصيف، د. ط، دار منارات للنشر.

نويل، جان بيلمان. (٢٠١٨)، ***التحليل النفسي والأدب***، ترجمة: حسن المودن، ط١، الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.